

مقتل "سليمانى" . السيناريو المبهم



04 يناير 2020 - 08:47

أحمد طه الغندور

" لقد خلق قائد الاسلام العظيم والصانع للمفاخر الى السماء . وعانقت أسس الارواح الزكية للشهداء، الروح المطهرة لقاسم سليمانى. إن سنوات الجهاد المخلص والبسالة في ميادين النضال ضد الشياطين والاشرار في العالم والسنوات التي قضاها في أمل الشهادة في سبيل الله، قد ارتقت في نهاية المطاف بقاسم سليمانى العزيز الى هذه الدرجة الرفيعة، اذ سفكت دماؤه الزكية على يد أشقى الناس على وجه الأرض ."

هكذا جاءت كلمات المرشد بايران "علي خامنئي" في رثاء "قاسم سليمانى" في الساعات الأولى صباح هذا اليوم، حيث تم اغتياله فجرًا في غارة جوية "أمريكية" . كما أفادت وكالات الأنباء نقلاً عن مسؤولين أمريكيين . والتي نُفذت بالقرب من مطار بغداد، مما أدى إلى مقتل "سليمانى" وثمانية ممن كانوا في استقباله ورفقته، وتحديدًا؛ "أبو مهدي المهندس" نائب رئيس الحشد الشعبي العراقي، و "محمد رضا الجابري" مسؤول العلاقات بالحشد الشعبي، بالإضافة إلى سامر عبد الله، وصهر الشهيد عماد مغنية، وزوج بنت "سليمانى"، و حسن عبد الهادي ومحمد الشيباني، وحيدر علي، من أعضاء الحشد الشعبي، إضافةً إلى عدد آخر من الإصابات، مما جعل هذا اليوم يتشح بالسواد لدى إيران. لكن على الجانب الآخر من المعادلة، في الجانب الأمريكي؛ الذي أعلن منذ اللحظات الأولى للحدث بأن الجيش الأمريكي وبتعليمات مباشرة من الرئيس "ترامب" هم من قاموا بـ "تصفية" "سليمانى"، ولعله من الجدير بالذكر، أن الرئيس الأمريكي . وعلى خلاف العادة . لم يقم بالتغريد صباحاً بإعلان يُشير من قريب أو بعيد إلى عملية "الاغتيال"، بل اكتفى بوضع صورة "العلم الأمريكي" على تغريدته الصباحية.

لكنه في ساعات المساء، أكد "أن جيشه قتل "قاسم سليمانى" قائد فيلق القدس الإيراني، فجر اليوم الجمعة، في العاصمة العراقية بغداد، بأوامر منه" وأضاف: "لقد اتخذنا قراراً بالأمس، بوقف الحرب، ولم نتخذ قراراً ببدها"، مبيناً: "أن سليمانى كان يخطط لمهاجمة دبلوماسيين أمريكيين، وأنه تسبب بمقتل الآلاف في الشرق الأوسط" . على حد تعبيره. ومن المثير، قول الرئيس الأمريكي: "تمتلك قائمة للأهداف ونحن جاهزون لتنفيذها في أي وقت"، مما يوضح أن "عملية الاغتيال"، لم تأت كرد مباشر على أحداث "السفارة الأمريكية" في بغداد أو غيرها من الأحداث المرافقة، بل إن الأمر مخطط له منذ زمن ليس بالقصير، أي بمعنى منذ زمن "بولتون" مستشار الأمن القومي السابق، أو حتى أبعد من ذلك، إنما كانت تلك الذريعة لتبرير الأمر!

وإذا أضفنا إلى ذلك ما أوردته القناة (13) العبرية على لسان "بارك رافيد" المحلل بالقناة، حيث قال: "إن التقديرات أكدت بأن الولايات المتحدة الأمريكية، أبلغت "إسرائيل" بعملية اغتيال "سليمانى" قبل التنفيذ"، مما يوحي بأنه قد هناك مشاركة "شرق أوسطية" من جهة أو أكثر للإعداد والتنفيذ لهذا "الاغتيال"!

إذن، السؤال الهام؛ لماذا الآن اختار "ترامب" هذا الموعد لتنفيذ "الاغتيال"؟

العديد من المحللين وعلى رأسهم؛ "روبرت مالي" الخبير ورئيس مجلس إدارة "مجموعة الأزمات الدولية"، يرى أن "عملية الاغتيال" تعتبر بمثابة نقطة تحول خطيرة في المواجهة بين الولايات المتحدة وإيران، لأن "سليمانى" كان لسنوات عدة في مرمى الإدارات الأمريكية السابقة، التي كانت ترى أن "تكلفة" قتله أعلى بكثير من "قائدة" اختفائه.

لذلك فهو يرى: "أن الرئيس الذي طالما ادعى بأنه لا يريد لأمريكا حرباً في الشرق الأوسط، قد جلب الحرب إلى باحتها!"

نخلص من ذلك بأن الدافع الرئيسي لـ "ترامب" في اتخاذ القرار يكمن في أزمته الداخلية، لأنه صمد في الماضي كثيراً أمام ضغوط "بولتون" و "تانتيا هو" في القيام بعمل عسكري ضد إيران، لكنه الآن قام بذلك، ليحصد نتائج هامة تساعده في مواجهة "الضغط الديمقراطي" في "الكونغرس"، وترفع أسهمه الانتخابية كصاحب أقوى عملية أمنية . عسكرية، خارجية في تاريخ أمريكا الحديث!

مما يعني أن "الاغتيال" ليس كما صرح "ترامب" أو كما جاء في بيان "البنتاغون"، " أن الجنرال كان بطور بفعالية خطأً لمهاجمة المجندين والدبلوماسيين الأمريكيين في العراق وفي جميع أنحاء المنطقة"، أي أن "الاغتيال" هو عملية استباقية وقائية تحقق ردعاً في مواجهة "الخطط الإيرانية!"

وهنا يأتي السؤال الأهم، كيف سترد إيران على "اغتيال سليمانى"؟

لا شك أنه من المبكر الرد على هذا السؤال في المرحلة الحالية، خاصة أن إيران لازالت في حالة مراجعة واستخلاص النتائج لعملية الاغتيال، كما أن الوضع الداخلي الإيراني بمكوناته الكلية لا يسمح بالقيام بعملية انتقامية قد تجر حرباً شرسة وطويلة على إيران كحالة الحروب المعهودة في المنطقة.

وإذا أضفنا إلى ذلك الخطوات الدبلوماسية المحمومة لنزع الفتيل بين الأطراف، من الوسطاء ذوي الجنسيات المختلفة، قد تتجح جميعها في تأجيل المواجهة المباشرة في الخليج، ولكنها بالتأكيد لن تمنع "فيلق القدس" من خلال وكلائه المتعددين والمنتشرين على مساحة واسعة في الشرق الأوسط وخارجه من المس بمصالح أمريكية مباشرة أو لدى حلفاء أمريكا في المنطقة، وربما دون الإعلان عنها، لكنها تُشبع الرغبة في الانتقام، التي عبر عنها خليفة "سليمانى" الجديد، "إسماعيل قآنى" في أول كلمة له بعد تعيينه قائداً لفيلق القدس، "سترون جنث الأمريكيين في كل الشرق الأوسط انتقاماً لاغتيال قاسم سليمانى".

ختاماً، مهما تحدثنا عن "اغتيال سليمانى" لا شك أنه يُعتبر "سيناريو مبهم" في كل عناصره، سواء في الإعداد والتخطيط، أو الدوافع والتنفيذ، أو حتى الأطراف المشاركة فيه، وتداعياته المستقبلية التي قد تصل بأطرافه إلى المواجهة المباشرة، فالأيام كاشفة!